# النموذج الأول

## إدارة الدَّعوة ومصعب بن عمير أول سفراء الإسلام

قد تكون الحياة مريرة مع قلَّة المؤنة وشظف العيش وضيق ذات اليد ولكن الأمرَّ منها أن تحيا حياة الملوك والأمراء وتخاطبك الدنيا بلغة العظماء وفجأة تتبدَّل المعالم وتختلف الأطوار فتري نفسك في عالم عنوانه الصبر والرضا بقضاء الله وقدره بعد أن كانت الأمنيات والأحلام تراها أمامك رأي العين، ولكن المبدأ لا يتجزأ ولا يمكن له أن يتجزأ مع بعض الشخصيَّات التي لم تخلق لتموت دون أن يشعر بها التاريخ وإنما خلقت لتكون رمزًا، تتقدَّم الصفوف، وتسعد بها النفوس، وتُكتب عنها المُصَنَّفات، وتُسَطِّر لها الأقلام بعض الحكم والأسرار، أو المبادئ والمعايير التي بوَّأتها هذه المكانة، وتحتفي بها الأجيال كما يحتفي بالقادة الفاتحين، ومن هذه الشخصيَّات شخصيَّة مصعب بن عمير الصحابي الجليل رضي الله عنه.

فلقد اختاره الرسول ﷺ ليكون صاحب أول وسام، والفاتح الثاني لباب الألقاب في الإسلام بعد الصديق أبي بكر رضي الله عنه، فكان أول سفراء الإسلام إلىٰ المدينة المنوَّرة، وذلك لكونه حامل أول لواء أو إدارة للدَّعوة إلىٰ الله ﷻ فيها، وهي أخطر وأعظم مهمة في تاريخ الإسلام، حيث «بعثه الرسول ﷺ إلىٰ المدينة يقرئهم القرآن ويفقِّههم في الدِّين، وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة»[1].

وهذا التكليف بأمر الدَّعوة لوحظ فيه اعتبارات كثيرة أهمها أنه وجد فيه صفات الداعية «وصفات الداعية ليست بالصفات النظرية، أو الصفات العامَّة التي

(1) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني - كتاب الجنائز - باب الكفن من جميع المال 8/ 59 - رقم الحديث 4721.

يشترك فيها كل الناس. بل إنها صفات المسلم بمعناه الحركي، وهي لا تتوفَّر إلا في نوع من المسلمين، ممن أعدُّوا بالتدريب والمحن والمثابرة والجهد، حتىٰ فازوا بهذه المنزلة الكريمة، لا سيما وأنه سيكون صورة عن المسلم ونموذجًا لأثر الإسلام في الرجال، وفي طريقة إعداد الدُّعاة، فما الدَّور الذي قام به مصعب في المدينة؟ إن كل الرِّوايات تشير إلىٰ أن مصعبًا أرسل إلىٰ المدينة لكي يقوم بالأمور التالية:

1- لكي يقرئ الأنصار القرآن ويفهِّمهم تعاليمه.

2- ولتعليمهم أمور دينهم.

3- وليصلي بهم.

4-وليدعو الناس إلىٰ الدين الجديد.

وكأنما كانت مهمته كداعية تقوم علىٰ تحقيق هذه الأمور المهمَّة التي تساعد في بناء الفرد المسلم كلبنة أولىٰ في المجتمع الإسلامي الجديد، وتساعد في بناء القاعدة الصلبة في المدينة التي ستكوِّن -هي والمهاجرون- فيما بعد المجتمع الإسلامي والدَّولة الإسلامية»[1].

وعلم الدَّعوة إلىٰ الله ﷻ خاصَّة عبارة عن «مجموعة القواعد والأصول التي يتوصَّل بها إلىٰ تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه»[2].

وهو علم يعتمد علىٰ مجموعة من الأركان، وهي الأجزاء التي تمثِّل حقيقة الدَّعوة ولا تقوم الدَّعوة إلا بها وهي ثلاثة:

أ- الدَّاعي. ب- المدعو. ج- موضوع الدَّعوة.

والدَّاعي: المبلِّغ للإسلام والمعلِّم له، والساعي إلىٰ تطبيقه[3].

(1) مصعب بن عمير الداعية المجاهد. محمد حسين بريغش ص166، 167.

(2) المدخل إلىٰ علم الدَّعوة. محمد أبو الفتوح البيانوني ص19.

(3) السابق ص152، 153.

وقد تولَّىٰ مصعب بن عمير أول إدارة للدَّعوة في الإسلام بتكليف من نبي الإسلام -محمد ﷺ-، حيث كانت دعوته «تفيد أن هناك توجهًا جديدًا في الرِّئاسة لتنظيم الدَّعوة الإسلاميَّة بعيدًا عن القبيلة وأعرافها. فكان هناك المقرئ يتولَّىٰ دعوة الناس إلىٰ الإسلام وتعليمهم أحكامه، أضف إلىٰ ذلك إمامة المسلمين في الصلاة، وبذلك غدت يثرب -بفضل هذا الرئيس المقريء- تشهد طلائع تنظيم إداري جديد يقوم علىٰ أساس الدين بمفاهيمه الجديدة»[1].

وإدارة الدَّعوة هي الهدف الرئيس من تنظيم وتنويع جميع الإدارات في الإسلام؛ وذلك لأن «الإدارة في الإسلام تحكمها الدَّعوة إلىٰ الخير، وقلبها الأمر بالمعروف، وسياجها النهي عن المنكر، وهدفها الفلاح، وطريقها العمل الصالح الطيب قولا وفعلاً»[2].

ومصعب بن عمير كانت لديه كثير من المهارات والمعايير التي أهَّلته لتولِّي أول إدارة للدَّعوة في المدينة المنوَّرة ومنها:

## المعيار الأول: قوَّة الشخصية

تدفع الأرحام كل لحظة بمولود، وتستقبل الأرض كُلَّ من كتب عليه أن يغادر الوجود، ولكن يظل عالم الرجال محدودًا قلَّ مَنْ تجد منه من يُسَجِّل نفسه في تاريخ العظماء خاصَّة هؤلاء الذين وهبوا أنفسهم لهداية البشريَّة حتىٰ وإن كانت الحياة ثمنًا لتحقيق هذه الأمنية.

وتأتي الأسرة في مقدِّمة صناعة هؤلاء الرجال، حيث «كانت أم مصعب خناس بنت مالك تتمتع بقوَّة فذَّة في شخصيتها، وكانت تهاب إلىٰ حد الرَّهبة. ولم يكن «مصعب» حين أسلم ليحاذر أو يخاف علىٰ ظهر الأرض قوة سوىٰ أمِّه. فلو أن

(1) الإدارة في عصر الرسول ﷺ د. محسن أحمد الخضيري ص156- وقائع ندوة رقم (31).

(2) الفكر الإداري في الإسلام د. محسن أحمد الخضيري ص156- وقائع ندوة رقم (31).

مكَّة بكل أصنامها وأشرافها وصحرائها، استحالت هولا يقارعه ويصارعه لاستخفَّ به «مصعب» إلىٰ حين، أما خصومة أمِّه فهذا هو الهول الذي لا يطاق!»[1].

فلم تكن الأمومة عندها رمزًا للدَّلال أو اللهو واللعب الذي غالبًا ما يودي بحياة الأبناء ويدفع بهم نحو الهاوية حتىٰ وإن كانت تعيش عيشة المترفين، ولكنها أرادت أن تخلق رجلاً له قيمة، ليس في بيته وقومه فحسب وإنما في حِلِّه وترحاله -وهذا ما حدث بالفعل-، حيث كانت كلماته وآراؤه وأوامره تاجًا علىٰ رؤوس قومه، أو قل دستورًا غير قابل للنقض، وهذه من قيم الجاهلية التي آزرها الإسلام وثبَّت أصولها.

إذًا فليتحوَّل كل أليف في هذا الكون إلىٰ حيوان كاسر فهو قادر علىٰ تحدِّيه ومواجهته، وأما أن يقف وجهًا لوجه أمام أمِّه فتلك مخاطرة غير مأمونة الجانب.

وقد حاولت بشتىٰ الطرق أن تمنعه من الهجرة إلىٰ الحبشة وأن تنزع الإيمان من قلبه، حيث «حلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظلّ بظلّ حتىٰ يرجع إليها، فكانت تقف للشمس حتىٰ تسقط مغشيًّا عليها، وكان بنوها يحشون فاها بشجار وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت»[2]، ولكن الإيمان عند مصعب بن عمير أقوىٰ وأعزُّ من كل شيء، وهي تعلم صدق عزمه وقوَّة شخصيته فتركته يمضي لحال سبيله، ومضت معه كل حياة الجاهلية، واستقبله الإسلام أفضل استقبال فرأىٰ مكانة النبي ﷺ في قلوب أصحابه وقوَّة تأثيره فيهم فكان لذلك أثرًا عظيمًا في تغيير مسار حياته، حيث تعلَّم منه مبادئ الإسلام وأصوله حتىٰ غدا من الرجال الذين يشار إليهم بالبنان، ومن ثم وقع عليه الاختيار ليكون أول مَنْ ترفع علىٰ أيديهم راية الإسلام في المدينة المنوَّرة.

«فمصعب بن عمير يريد أن يعطينا نموذجًا عن تربية الإسلام للمترفين الشباب، للمنعَّمين من أبناء الطبقات الغنية المرفهة، لأبناء القصور والمال والجاه،

(1) رجال حول الرسول. خالد محمد خالد ص37.

(2) الروض الأنف للسهيلي 4/ 52.

للمعجبين بأشخاصهم، المبالغين في أناقتهم، الساعين وراء مظاهر الحياة، رغم كل ذلك، وقف بعد إسلامه قويًّا لا يضعف ولا يتكاسل ولا يتخاذل، ولا تقهره نفسه وشهواته فيسقط في جحيم النعيم الخادع، لا، إنه ودَّع ماضيه بكل ما فيه من راحة ولذَّة وهناءة، يوم دخل هذا الدِّين وبايع تلك البيعة»[1].

فلم يكن تكوين هذه الشخصية إذًا قد جاء نتاج لحظة انتبه فيها بعد نوم عميق، أو كشف الحجاب بينه وبين مجتمعه فجأة بعد أن أسدل الستار بينهم لفترات طويلة وإنما جاء نتيجة خبرة ودراية بأحوال الناس وطريقة تفكيرهم، ومن ثم قوَّة تأثيره فيهم، وتلك موهبة زرعت أصولها فيه أمُّه في الجاهلية، ونمت علىٰ يد النبي ﷺ بعد إسلامه.

## المعيار الثاني: هيبة العلماء

ربما تُسَجِّل الذاكرة كثيرًا من الأرقام القياسية في حفظ العلم وفهمه ودراسته فتبدو وكأنها عالم خاص، لها من الإمكانات ودرجات الاستيعاب ما يفوق الخيال العلمي وكأنها قاموس لغوي اشترك في إعداده مجموعة كبيرة من الباحثين، وكذلك قد يحظىٰ أصحابها بدرجة آداء لانظير لها في لغة الخطاب، ولكن ذلك شيء ودرجة القبول وغزو قلوب الناس شيء آخر.

لا شك أن هيبة العلماء وما لها من ملامح وسمات تجبر المخاطب علىٰ الاستماع، وتلك هي أول خطوة في إنجاح المهام العلميَّة وخاصة الدَّعوية وتحقيق أفضل النتائج التي ربما تفوق الخيال، والمحرومون من هذه الهيبة ربما يسيئون إلىٰ العلم أكثر ما يحسنون إليه.

ومصعب بن عمير واحد من هؤلاء الذين ما إن تراهم حتىٰ يمتلئ قلبك منهم هيبة وإجلالاً، فلا تستطيع أن تحلِّق النظر فيه، وتذكَّر عندما «وقف مصعب أمام أمِّه، وعشيرته، وأشراف مكَّة المتجمِّعين حوله يتلو عليهم في يقين الحق وثباته،

(1) مصعب بن عمير الداعية المجاهد ص105.

القرآن الذي يغسل به الرسول قلوبهم، ويملؤها به حكمة وشرفًا، وعدلاً وتقىٰ. وهمت أمُّه أن تسكته بلطمة قاسية، ولكن اليد التي امتدت كالسَّهم، ما لبثت أن استرخت وترنَّحت أمام النور الذي زاد وسامة وجهه وبهاءه جلالاً يفرض الاحترام، وهدوءًا يفرض الإقناع»[1].

ويكفيك أن تعلم أنَّك إذا ما اقتربت منه، ونظرت إلىٰ قسمات وجهه وجدت أنه أشبه الناس برسول الله ﷺ، ففي غزوة أحد «قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ ومعه لواؤه حتىٰ قتل، فكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي، وهو يظنُّ أنه رسول الله ﷺ، فرجع إلىٰ قريش فقال: قد قتلت محمدًا»[2].

لذلك تجد النفس علية مقبلة ولأحاديثه مصغية، فأنت معه لا تستمع فقط بل تستمتع أيضًا فتجمع بين الحسنيين، الرغبة في الاستماع وتذوق حلاوة الاستمتاع، وتلك هي البداية التي تبشِّر بالنَّجاح، والمقدِّمة التي تُمَهِّد للنتائج.

## المعيار الثالث: الأسلوب المتميِّز

للكتابة لغة تستجيب لمَنْ يجيد فنَّ التعامل معها، وللتفكير لغة تحيط بها كثير من عوامل الهدم والبناء، فقد ترقىٰ بأصحابها في عالم الواقع وتصعد بهم إلىٰ عنان السماء، وقد تقذف بهم في بحار الظلمات، وكذلك لغة الخطاب، فكم من رجال سحروا أعين الناس بعباراتهم وحلاوة منطقهم فامتلكوا بذلك القلوب قبل العقول ولكن إلىٰ طريق الهداية والرشاد بخلاف مَنْ سخَّروا هذه الموهبة في الخداع والمكر والتضليل.

فقد يكون المنتج جيِّدًا وربما يفوق غيره بمراحل كثيرة ولكن سوء طريقة العرض تجعله في ذيل القائمة وتخرجه خارج دائرة المنافسة، ولذلك كان للدعاية

(1) رجال حول الرسول ص38.

(2) أخرجه ابن جرير في تفسيره: جامع البيان 7/ 308 - رقم 8065.
وقال فيه الشيخ أحمد شاكر: الأثر ملفق من سيرة ابن إسحاق.
ينظر: السيرة النبوية لابن إسحاق 1/ 337، والسيرة النبوية لابن هشام 3/ 12، والاكتفاء للكلاعي 2/ 72.

والإعلان الدور الرائد في هذه المرحلة، وهي المرحلة الأولىٰ في عمر الإسلام ولكن مَنْ يصلح لها؟.

الجواب أن الاختيار الصحيح والدفع بكوادر المتخصِّصين في كل مجال هو عنوان البِّناء الذي يُمَهِّد لإقامة دولة إسلامية تخترق حواجز وحدود الزمان والمكان.

وها هو الإسلام يقدِّم لنا هذه الصورة الفريدة البديعة الرائعة التي امتلكت حسن البيان بأسلوب متميز أخَّاذ ربما يصل إلىٰ حد الإعجاز، عندما يتكلم تسمع له، وتتناثر الدُّرر من فيه عندما يحاور، ثم لا تجد بديلاً إلا أن تقول سمعنا وأطعنا.

ذهب مصعب بن عمير إلىٰ المدينة المنوَّرة في رحلة ومهمَّة علمية، ولكن ليس من أجل أن ينال بها درجة علميَّة أو مكانة أدبيَّة، وإنما ليكون عنوانًا وسفيرًا لدعوة الحق، واسمع وكأنك تنظر إلىٰ تلك الكلمات البديعات التي اختيرت من أجمل حديقة لغوية وهي تحتوي لغة العنف والعداء، وتمتصُّ كل أساليب الغضب والانفعال فتسحر القلوب وتمتلك المشاعر والأحاسيس، وتذيب صخور الكفر وتهدي إلىٰ طريق الإيمان بالحكمة والموعظة الحسنة.

يقول أسيد بن حضير مخاطبًا مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة: ما جاء بكما إلينا تسفِّهان ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

وباللغة نفسها يتحدث سعد بن معاذ مخاطبًا أسعد بن زرارة في حضرة مصعب بن عمير: يا أبا أمامة والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا منىٰ، أتغشانا في ديارنا بما نكره.

فيتقدَّم مصعب بن عمير بلغة الحوار الهادئ والأسلوب المتميِّز الذي يمتلك جميع أسباب الثقة بالله ﷻ مخاطبًا كل واحد منهما علىٰ حدة: أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرًا قبلته وإن كرهته كفَّ عنك ما تكره.

وبهذا التمهيد وما تليه من كلمات وعبارات تشرح تعاليم الإسلام ومبادئه تذهب هذه العقول والقلوب إلىٰ هذا المجلس بوجه ولكنها تخرج منه وتعود إلىٰ

ديارها بوجه آخر، حيث أسلما بعدما أحسن مصعب بن عمير عرض الإسلام عليهما، وبإسلامهما ما أمسىٰ في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة[1].

لذلك فالنجاح وإن تحكَّمت فيه أو حكمته عوامل كثيرة إلا أن عنوانه حسن الاختيار لأصحاب الأسلوب المتميِّز الذي يستطيعون غزو العقول والقلوب، وهذا ما سطَّرته الحوادث بالدليل والبرهان، حيث «نجحت سفارة مصعب بن عمير ﵁ في شرح تعاليم الدين الجديد، وتعليم القرآن وتفسيره، وتقوية الروابط الأخوية بين أفراد القبائل المؤمنة من ناحية، وبين النبي ﷺ وصحبه بمكة المكرمة لإيجاد القاعدة الأمينة لانطلاق الدَّعوة»[2].

## المعيار الرابع: التضحية والتحدِّي

أكون أو لا أكون، نقطة تحوُّل خطيرة في حياة كل إنسان، فقد تركن النفس البشرية وتسلم قيادها لمتاع زائل أو هوىٰ تسكن إليه، وفي النهاية تركع وتسجد له دون هدف أو غاية، وهذه لا يمكن أن يكون لها شأن، أو أن يذكرها التاريخ، وإذا ذكرها أشار إليها دائمًا بأصابع الاتهام، وقد تضحِّىٰ بحياة نؤوم الضحىٰ وبحار النعيم من أجل إدراك غاية نبيلة تسعد بها وتلقي علىٰ جبينها قبلة الحياة التي تعيد إليها وإلىٰ كرامتها كل غال ونفيس.

وقد صرَّحت الدُّنيا لمصعب بن عمير أن يغترف من خيراتها ونعيمها كيفما شاء دون حدود أو قيود حتىٰ كادت كل زاوية من زوايا بيته أن تنطق برغد هذه الحياة، ولكنه وقف أمام نفسه ناصحًا ومرشدًا عندما أيقظ نسيم الإسلام قلبه فأصدر حكمه بتطليق هذه الحياة وقرر أن يكون، وآية ذلك أن تنظر إلىٰ حياته قبل

(1) ينظر هذا الحوار كاملا وأثاره ونتائجه في: السيرة النبوية لابن هشام 2/ 25، 26، والاكتفاء 1/ 243، 244.

(2) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث د. على محمد الصلابي 1/ 238.

الإسلام وبعده». كان مصعب بن عمير فتىٰ مكة شبابًا وجمالاً، وكان أبواه يحبانه، وكانت أمة تكسوه أحسن ما يكون من الثِّياب وأرقِّه، وكان أعطر أهل مكة، وكان رسول الله ﷺ يذكره ويقول ما رأيت بمكَّة أحسن لمَّة ولا أرقَّ حلَّة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير»[1].

وقد يقبل الإنسان التحدِّي عندما يعلم من نفسه قدرة وقوَّة علىٰ خصمه ولكن أن يتحدَّىٰ نفسه وأن يصمد أمام كل رغباتها، ويميت فيها كل نوازع الترفه والنعيم بل يقسو عليها كثيرًا ويحدُّها أن أبت أن تستجيب له، فهذه آية أبت إلا أن تكون علامة فاصلة في تاريخ الدَّعوة والدُّعاة.

ومصعب بن عمير من هؤلاء الذين أعرضت عنهم الدنيا بعد إسلامه وأخذت منه جميع حقوقها، وهو لم يعد له بها حاجة إلا لإدراك غاية، حيث قبل التحدِّي ونزل إلىٰ ميدان المعركة وأدرك غايته وسطَّر مجد الشرفاء والخالدين.

«عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا قومًا يصيبنا ظلف العيش بمكَّة مع رسول الله ﷺ وشدُّته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك، وصبرنا له، وكان مصعب بن عمير أنعم غلام مكة، وأجوده حُلَّة مع أبويه، ثم لقد رأيته جهد في الإسلام جهدًا شديدًا حتىٰ لقد رأيت جلده يتحشف تحشف جلد الحيَّة عنها حتىٰ إن كنا لنعرضه علىٰ قسينا، فنحمله مما به من الجهد، وما يقعد عن شيء بلغناه، ثم أكرمه الله ﷻ بالشهادة يوم أحد»[2].

فقد وهب الإسلام مصعب بن عمير نفسًا أبيَّة وروحًا زكية زهدت في كل شيء حتىٰ في هذا الكفن الذي يواريها إلىٰ مثواها الأخير، فعن «خبَّاب رضي الله عنه قال

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب معرفة الصحابة - باب مناقب مصعب الخير 3/ 221 - رقم 4904. ولم يقل فيه الحاكم شيئًا. والحديث عن إبراهيم بن محمد العبدري عن أبيه كما ذكره الواقدي. وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(2) أخرجه ابن إسحاق في السيرة 1/ 230. وذكره الإمام محمد بن عبد الله العوشن في كتابه: ما شاع ولم يثبت في السيرة ص173.

هاجرنا مع النبي ﷺ نلتمس وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنَّا مَنْ مات لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير، ومنَّا من أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها[1]، قتل يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بردة إذا غطَّينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه خرج رأسه فأمرنا النبي ﷺ أن نغطِّي رأسه وأن نجعل على رجليه من الإذخر»[2].

ونظرًا لهذه المبادئ والمعايير التي توفَّرت في شخصيَّة مصعب بن عمير وغيرها كثير اختاره رسول الله ﷺ ليكون أول سفراء الإسلام إلى المدينة: «يفقِّه الأنصار الذين آمنوا وبايعوا الرسول عند العقبة، ويدخل غيرهم في دين الله، ويُعِدُّ المدينة ليوم الهجرة العظيم. كان في أصحاب الرسول يومئذ من هم أكبر منه سنًّا وأكبر جاهًا، وأقرب من الرسول قرابة، ولكن الرسول اختار «مصعب الخير» وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة، ويلقي بين يديه بمصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة، ومنطلق الدَّعوة والدُّعاة، والمبشِّرين والغزاة، بعد حين من الزمان قريب»[3].

إذًا فقد وضع الرسول ﷺ يده على مفتاح هذه الشخصية وعلم مواطن التفوُّق فيها فأيقظها وفعَّلها حتى غدت واقعًا حيًّا سطَّرت تاريخًا تشهد به الأجيال من لدن الجهر بالدَّعوة وإلى قيام السَّاعة.

---

(1) **هَدَّبَ الثمرة تهديبًا، واهتدبها**: جناها.
وفي حديث خباب: ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها؛ معنى يهدبها: أى يجنيها ويقطفها. لسان العرب (هـ د ب) 6/ 4629.

(2) **الإذخر - بكسر الهمزة -**: حشيشة طيبة الرائحة يُسْقَفُ بها البيوت فوق الخشب، وهمزتها زائدة. السابق(ذ خ ر) 3/ 1490.
والحديث في صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا لم يجد كفنًا إلا ما يواري رأسه أو قدميه غطى رأسه 1/ 429 - رقم 1217.
وينظر: صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب في كفن الميت 5/ 469.

(3) رجال حول الرسول ص40.

فلقد أعطت الدنيا ظهرها لكل من أغلق قلبه وفكره واستجاب لنداء شهواته فأمست حياته وموته سواء، دخل من باب وخرج من آخر، لم تكن له بصمة تُسَطِّر له تاريخ العظماء، وإنما احتضنته سلَّة المهملات، ولكن مَنْ ودَّعت عيناه المركب الهنيئ والمسكن الفاره وطلَّق حياة الدعة والرَّاحة وراح يبغي خلود الذكريات سكن قلوب البشر وأتبعته الرحمات أينما حلَّ أو ارتحل، ومن هنا كان للاختيار مغزىٰ وهدف.

«إن الدعوة إلىٰ الله ليست تجارة قصيرة الأجل؛ إما أن تربح ربحًا معينًا محدَّدًا في هذه الأرض، وإما أن يتخلَّىٰ عنها أصحابها إلىٰ تجارة أخرىٰ أقرب ربحًا وأيسر حصيلة والذي ينهض بالدَّعوة إلىٰ الله في المجتمعات الجاهلية -والمجتمعات الجاهلية هي التي تدين لغير الله بالطاعة والاتباع في أي زمان أو مكان- يجب أن يوطِّن نفسه علىٰ أنه لا يقوم برحله مريحة، ولا يقوم بتجارة ماديَّة قريبة الأجل إنما ينبغي له أن يستيقن أنه يواجه طواغيت يملكون القوَّة والمال ويمتلكون استخفاف الجماهير حتىٰ ترىٰ الأسود أبيض والأبيض أسود ويملكون تأليب هذه الجماهير ذاتها علىٰ أصحاب الدَّعوة إلىٰ الله، باستثارة شهواتها وتهديدها بأن أصحاب الدَّعوة إلىٰ الله يريدون حرمانهم من هذه الشهوات. ويجب أن يستيقنوا أن الدَّعوة إلىٰ الله كثيرة التكاليف، وأن الانضمام إليها في وجه المقاومة الجاهلية كثير التكاليف أيضًا. وأنه من ثم لا تنضم إليها -في أول الأمر- الجماهير المستضعفة، إنما تنضم إليها الصفوة المختارة في الجيل كله، التي تؤثر حقيقة هذا الدِّين علىٰ الرَّاحة والسَّلامة، وعلىٰ كل متاع هذه الحياة الدنيا. وأن عدد هذه الصَّفوة يكون دائمًا قليلا جدًّا. ولكن الله يفتح بينهم وبين قومهم بالحق، بعد جهاد يطول أو يقصر. وعندئذ فقط تدخل الجماهير في دين الله أفواجًا»[1].

(1) في ظلال القرآن. سيد قطب 4/ 2036، 2037.